الفصل الثانى

منتجو الغذاء والعصر الحجرى الحديث

سكان وادى النيل يصبحون منتجى غذاء

كان قاع مجرى النيل مغطى بطبقات من الطمى والرمل التى كان يحملها تيار النهر؛ ولم يكن صالحاً إذ ذاك لنمو مزروعات كثيرة . ومن الجائز أنه فى نهاية العصر الباليوليتى بدأ النهر يجىء بكمية كبيرة من التربة السوداء من مرتفعات الحبشة . وفى كل فصل عندما تملأ أمطار الصيف الآتية من جبال الحبشة النيل الأعلى ، كانت المياه تعلو فوق ضفتيه ، وتنتشر هذه المياه المحملة بالطمى على جانبى مجرى النهر وتترك طبقة دقيقة من الطمى أو التربة السوداء المخصبة، وأصبح هذا الطمى فى النهاية طبقة سميكة هى أرض وادى النيل الخصبة التى كونت شريطا على كل من ضفتى النهر .وكان هذا الشريط يلتوى ويدور مع اتجاه النهر سواء إلى اليمين أو إلى اليسار . وفى أيامنا هذه لا يزيد اتساع هذه الطبقة السوداء أى نهر النيل وما على ضفتيه من أرض عن ستة عشر كيلو مترا .

وفى هذه الأرض المزروعة المحمية ، استطاع رجال العصر الباليوليتى الذى أوشك على نهايته أن يحسنوا طريقة معيشتهم ومهدوا لبدء عصر جديد نطلق عليه اسم العصر النيوليتى ، (الحجرى الحديث) وليس فى استطاعة أحد أن يحدد بالضبط بداية العصر النيوليتى ، ففى أراضى البحر الأبيض المتوسط كان يوجد بعض أقوام يتطورون فى حياتهم نحو الحياة النيوليتية بينما كان فى نفس المنطقة آخرون يشكلون بمهارة الدبابيس النحاسية . فمثلا انتهى العصر النيوليتى فى مصر والعراق قبل أن يحدث ذلك فى الشمال الغربى لأوربا بحوالى ٢٠٠٠ سنة . وإذا درسنا الثقافات النيوليتية

نجد أن الآثار المصرية تعطينا صورة حسنة لهذا النوع من الحياة فى عصور ماقبل التاريخ . لقد اضطرت الحيوانات التى عاشت زمنا طويلا فى الهضبة أن تفعل مافعله الصيادون فالتجأت هى الأخرى إلى وادى النيل تنشد القوت والماء .

وكان وادى النيل مليئا بالمستنقعات والأحراش فاصبح خير ملجأ لأسراب كثيرة من الطير البرى ولقطعان هائلة من الحيوانات الضخمة مثل فرس النهر والفيل التى كانت تعيش فى شمال البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك فعلت أنواع مختلفة من الآرام والماشيه الكبيرة البرية Bos primigenius (الخرفان والماعز والحمير) . ولم يكن إذ ذاك من بين تلك الحيوانات ما هو أليف أومستأنس بل كانت فى حالتها الوحشية . وعلى الجانب الشمالى من البحر الأبيض المتوسط عرف الصيادون كيف يصنعون الفخ حتى للحيوانات الكبيرة مثل الفيل .

ولم يكن فى وادى النيل متسع كبير لمثل هذه الحيوانات كى تمرح كما كانت تفعل فى أوربا أو فى الهضبة من قبل فوجدت نفسها فى موقف لم تكن قد عرفته فى أوربا أو آسيا إذ وجدت نفسها مرغمة على أن تكون على مقربة من الانسان الذى وجد أنه أصبح من الميسور له أن يوقعها فى قبضته

ويمكننا أن نتصور جماعة من الصيادين تدفع بالقطعان الكبيرة من هذه الحيوانات المتوحشة إلى بعض الفجوات العميقة بين صخور وادى النيل ثم يتقدمون نحوها من الجانب المفتوح ويقتلونها . وعلى مر الزمن عن لهؤلاء الصيادين أن يغلقوا مثل هذه الفجوة بسياج ليست به سوى فتحة واحدة ، أو يبنوا سياجا ذا جوانب أربعة أو يصنعوا شبكة محيطة لها مخارج من جانب واحد . وبذلك أصبح وجود الحيوانات المتوحشة فى مكان مسور مصدرا قيما جدا للقوت على مقربة من الناس وفى أى لحظة يشاؤون . وبعد زمن طويل تخلصت بعض أنواع من هذه الحيوانات من خوفها من الانسان وتعلمت تدريجيا كيف تعيش معه . ومن الطريف أن نلاحظ

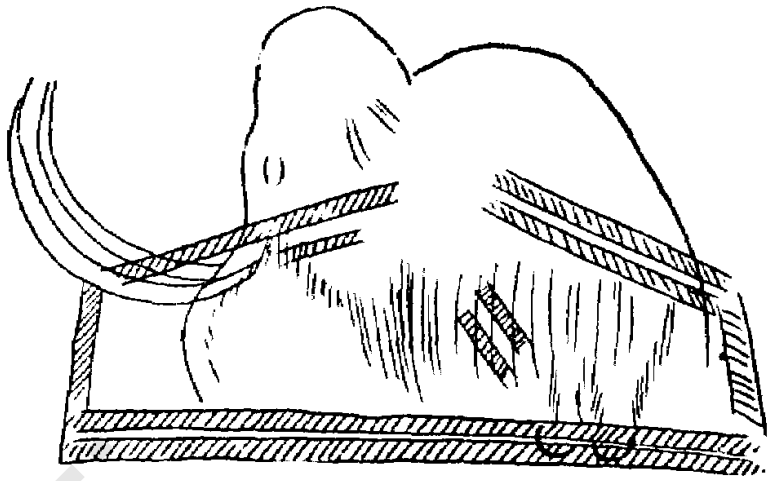

شكل : ٨ رسم فى كهف يمثل الماموث وقد وقع فى فخ من كتل الخشب فى جنوب فرنسا

يرينا هذا الرسم المرحله الاولى لمقدرة الانسان على أسر الحيـوانات وكانت فى المرحلة التالية استئناس الحيوانات

كيف أدى جفاف الصحراء المتزايد إلى جمع الانسان بالحيوانات المتوحشة ، حتى أن الثور والضأن والماعز والحمير التى كانت كلها حيوانات وحشية تخلت عن حياتها الطليقة وأصبحت حيوانات مستأنسة تخدم الانسان . وفى هذه الأثناء تمكن سكان النيل من الوصول إلى طريقة جديدة أصبحت مصدرا دائما للغذاء . فمن المحتمل أن النساء اعتدن لمدة آلاف السنين أن يجمعن حبوب بعض الحشائش البرية ويطحنها لتؤكل . وفى النهاية اكتشف شخص ما أن هـذه الحشائش لو زرعت وسقيت بالماء فانها ستنمو أحسن من ذى قبل وتنتج كمية أكبر من الحبوب الصالحة للأكل ، وإلى جانب ذلك فانهم كانوا يستطيعون أن يبذروا الحب بالقرب من مساكنهم المؤقتة وبذلك يوفرون على النساء الوقت والجهد الذى يبذل فى البحث عن الأعشاب البرية ، وبدأ هؤلاء الزراع الاوائل يفكرون فى إيجاد طرق لتخزين الحبوب لاستعمالها بين فصل حصاد وآخر ، وقد عثر فى منخفض الفيوم غرب وادى النيل على ٦٣ حفرة من المحتمل أنها حفرت لتستعمل شونات للغلال. وكان عدد من هذه الحفر ملطوسا بالطين ومغلفا بالقش . وكان فى بعض هذه الشونات

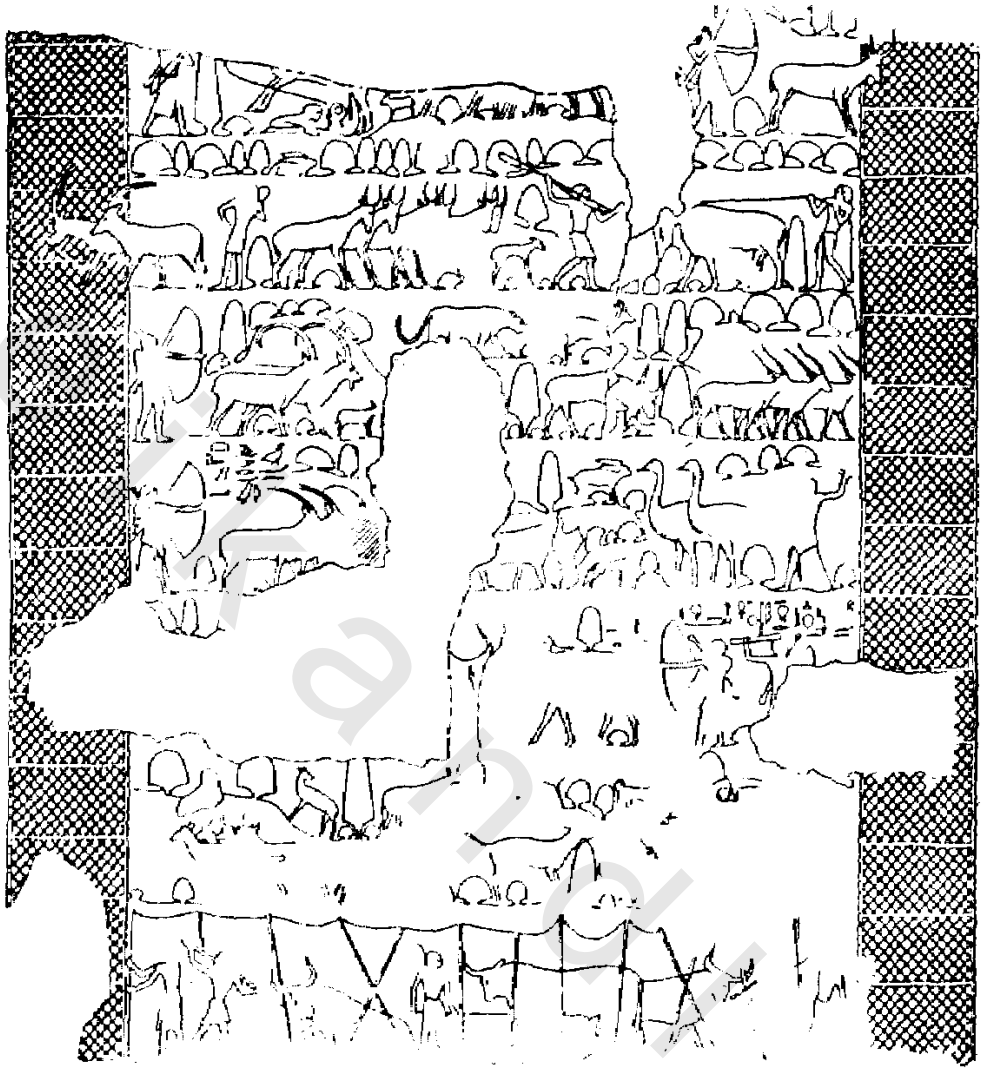

شكل : ٩ رسم مصرى قديم يبين حظيرة صيد مملوء بالحيوانات

هذا المنظر مرسوم على جدار فى مقبرة من عصر الفترة الاولى تهدمت بعض أجزائه . ونرى فى هذا المنظر بعض الحيوانات البرية وقد دفع بها الصيادون الى حظيرة مصنوعة من الشباك . ونرى هؤلاء الصيادين منهمكين فى اغلاق طرف منها (فى الطرف السفلى) بوساطة أعمدة مربوطة بحبال طويلة ، ولكن الطرف البعيد لم يبق فى الرسم . ونرى أربعة رجال مزودين بالاقواس والسهام منهمكين فى قتل بعض الحيوانات للحصول عليها فى وقت قصير . وهناك رجال آخرون فى الصف الاول والثانى يستعملون الحبال لامساك الحيوانات وهى حية

(عن نيوبرى Newberry)

كميات صغيرة من القمح والشعير[١]. وكان فى البعض الآخر سلال وأوعية وكذلك المنجل الذى كان يستعمل فى الحصاد .

وهكذا عرف سكان النيل كيف يخزنون حصاد غلالهم ويحفظون الحبوب لبذرها فى العام القادم ، وتعلموا كيف يربون الحيوانات فى الحظائر ثم عرفوا بعد ذلك كيف يحتفظون بحيوانات معينة للتكاثر، كما عرفوا كيف يحتفظون بالماشية لدر الألبان . وهكذا أصبحوا منتجى غذاء بدلا من جامعين له ، وعندما رأوا أنفسهم قادرين على إنتاج القوت على مقربة من أماكن إقامتهم وجدوا أنه لم يصبح من الضرورى اللازم أن يظلوا صيادين يعيشون على قتل الحيوانات الوحشية. وبدأت جماعات من العائلات فى تكوين قرى صغيرة ليستطيعوا رعى قطعان الماشية ويرووا حقول الحبوب . وفى النهاية أصبح معظم الصيادين زراعاً ومربى ماشية وأصبحت قراهم الصغيرة مساكن ثابتة لإقامتهم .

وكانت الأدوات والأسلحة لاتزال تصنع من الحجر فى ذلك العصر، ولكن الرجال تعلموا كيف يستعملون أحجارا مثل الحجر الرملى لسن أسلحتهم أو لتهذيب أطراف أدواتهم . وتحسنت الأدوات المصنوعة من الظران كثيراً نتيجة لهذا التقدم ، بل وزادوا على ذلك أنهم عرفوا أنهم يمكنهم أن يحصلوا على نصل حاد

---

١ ـ من المحتمل أن القمح والشعير كانا أول الغلال التى زرعها الانسان ، وكذلك الذرة فانها زرعت أيضا فى وقت مبكر . وليس من المستبعد ان يكون انسان ما قبل التاريخ قد زرع الشوفان وغيره من الحبوب . وقد قام كثير من العلماء بدراسات كثيرة للمناطق التى ينمو فيها الآن الشعير البرى والقمح البرى لتحديد المكان الذى بدأت فيه زراعة القمح . واهتم علماء النبات والاثريون بتحديد أقدم أنواع القمح التى زرعها الانسان . ومن الجائز أن أنواع القمح التى تستعمل فى صنع الخبز الان طورها الانسان عن طريق الاختيار لانه لم يكتشف أصل برى للقمح الذى نستعمله الان فى صنع خبزنا العادى (*Triticum vulgare*) لان نوع القمح الذى اكتشف فى شونات الغلال المصرية القديمة هو من نوع (Triticum dicoccum) الذى مازال ينمو كنبات برى فى أجزاء مختلفة من العالم القديم . وفى وقتنا الحالى لايزرع هذا النوع من القمح Emmer لاجل الخبز ولكنه يستعمل أحيانا فى صنع بعض أغذية الافطار فى الصباح

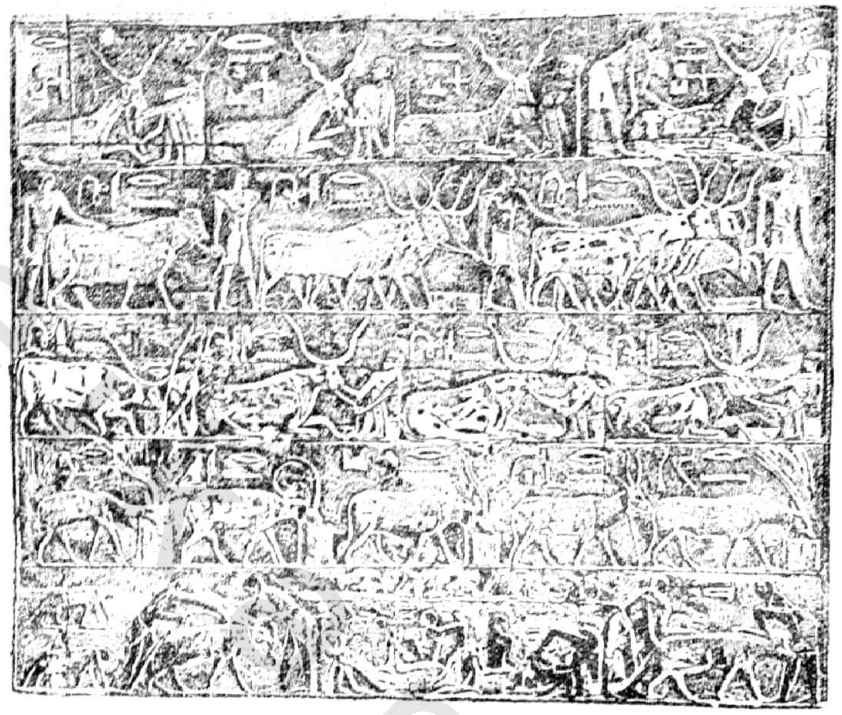

شكل : ١٠ علف الآرام والضباع نصف المستأنسة مع الماشية

كانت الحيوانات الوحشية التى تصاد حيه من حظائر الصيد (شكل ٩) تعلف فى حظائر ويحاولون استئناسها ولو الى حد ما · الماعز (١) والغزلان (٤) فى الطرف الشمالى والغزال العربى (Addax) (٤ فى الوسط) وغزال الاوريكس (Oryx) (فى الطرف الايمن) والتيتل (٤ فى الشمال) ونراها كلها فى هذا المنظر وهي تأكل فى مذاودها فى الاصطبلات مع الماشية الكبيرة (٢) كانت هذه الماشية الكبيرة قد استأنست قبل أن يرسم هذا المنظر بالاف السنين وأصبحت أسلافا لماشيتنا الاليفة الآن

فى هذا الرسم مايثبت أن المصريين عرفوا تربية أنواع ممتازة من الماشية منذ تاريخ مبكر جدا · كان المصرى يحافظ على فصيلة الماشية عديمة القرون (٢ فى الطرف الشمالى) أو على الاقل يعمل على ابقاء نسلها · فى أسفل (٥) الضباع المأسورة وهم يعطونها الطعام فى فمها · وكان المصريون اذ ذاك استأنسوا تماما الماعز والماشية الكبيرة التى ترى هنا فى (١ ، ٢ ، ٣) · أما الاخرى فى (٤)فلم يكونوا قد استأنسوها الا الى حد ما ، وهى لاتوجد الان الا فى حالة وحشية وخاصة الضباع (٥)

من أحجار أقل تعرضاً للكسر من حجر الظران ، وبعبارة أخرى عرف الإنسان أنه من الميسور له أن يصنع أدواته من مواد أفضل من الظران ، وفى الوقت عينه يسهل الحصول عليها لأنه لم يكن من السهل العثور على طبقات من الظران فى كثير من المناطق . وهكذا أصبح استعمال حجر المسن من أول المكتشفات العظيمة فى العالم ، وهو اكتشاف مازال يستعمله الإنسان بشكله البسيط كما كان يفعل منذ عصور ما قبل التاريخ . كان ذلك ذا فائدة عظيمة جداً للإنسان ، ونستطيع أن نقول أنه ساعد كل رجل فى أن يصبح معتمداً على نفسه فقط . واستطاع رجال العصر

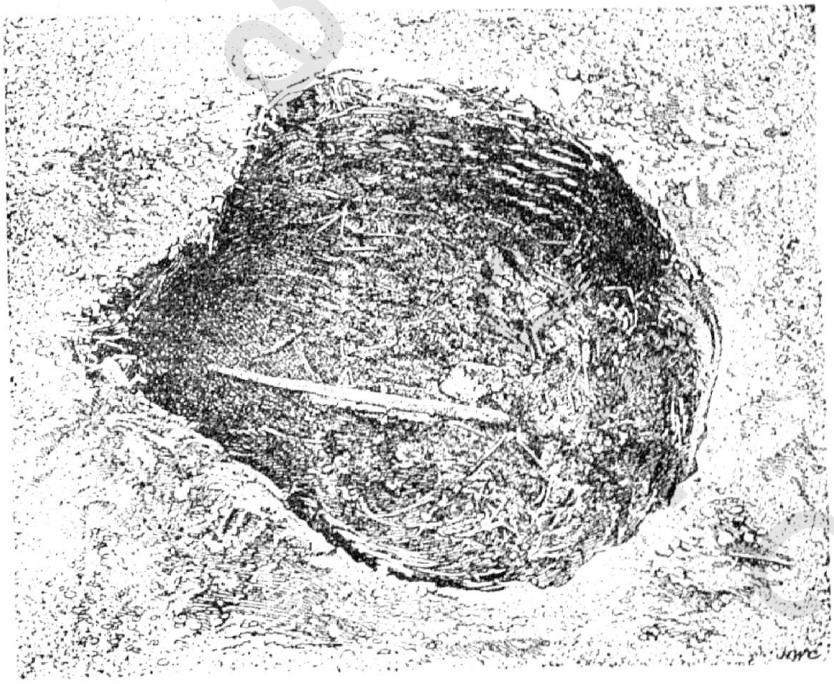

شكل : ١١ شونة غلال غطيت جدرانها بالقش وهى من العصر النيوليتى وجدت فى الفيوم بمصر

يبلغ طول المنجل الخشبى (ا) الذى يرى ملقى فى قاع المخزن حوالى قدمين .
(عن الآنسة كيتون تومسون Miss G. Caton Thompson)

الحجرى الحديث (النيوليتيون) أن يقطعوا الأشجار وأن يصنعوا بعض أشياء من الخشب ، واستطاع هؤلاء الزارعون الأوائل الذين عاشوا فى وادى النيل أن يبتكروا صناعات مختلفة . وكانت هناك فيلة يمكن صيدها بسهولة ، وكان العاج الذى يؤخذ منها يستعمل فى صنع الأوعية والملاعق والأمشاط . وكان الغاب الذى ينمو فى المستنقعات التى على امتداد النيل يضفر ليصنع منه الحصير والسلال ، وكانت الأطباق والأوانى والأوعية تصنع من الطين المحروق الذى يأتون بترابه من الهضبة أو من الطمى النيلى . وكانت هذه الأوانى الفخارية تشكل باليد ومع ذلك فإن رقة جدرانها وجودة خامتها والاثر الفنى الذى يتركه سطحها المتموج ظلت دائماً كما هى ولم يستطع المصرى فيما بعد عندما اخترع دولاب الفخار أن يدخل تحسيناً على صناعتها ، وقبل ذلك بوقت قصير اكتشف المصرى فائدة خيوط بعض النباتات البرية مثل الكتان ، وتعلمت النساء كيف تزرع هذه النباتات ، وعرفن كيف يغزلن هذه الخيوط ثم عرفن أيضاً كيف ينسجنها ليصنعن منها أقمشة للملابس

حدث هذا كله منذ زمن بعيد جداً لدرجة أن آثار هذه المساكن النيلية المبكرة أصبحت مدفونة تحت أمتار من التربة السوداء التى يجلبها النهر منذ ذلك الوقت ، ومع ذلك فقد اكتشفت بقايا قليلة لبضعة قرى صغيرة كانت مقامة على أرض عالية فوق مستوى مياه فيضان النيل . وكان الموتى يدفنون على امتداد حافة التربة السوداء على طرف الصحراء . وقد فحص كثير من هذه المقابر . ونعرف أن الجثة كانت توضع على حصيرة وتحاط بأوانى الطعام والأسلحة والأدوات وأدوات الزينة الخاصة بصاحب القبر . وهكذا كان الميت قد هيأ نفسه للحياة الثانية ، وكان الوجه متجهاً ناحية الغرب . وقد عثر فى أحد هذه المقابر على دبوس نحاسى (شكل ١٢) وهو أقدم أداة من المعدن اكتشفت فى حفائر الآثار . ومن المستحيل أن نحدد بالضبط تاريخه ، ولكنه لا يمكن أن يكون متأخرا عن الألف الخامس قبل الميلاد . أى أن عمر هذا الدبوس ما بين ستة وسبعة آلاف سنة . ويمكننا أن نصور لأنفسنا

ذلك المصرى الذى اكتشف المعدن ، قبل أى شخص آخر ، عندما كان يتجول فى شبه جزيرة سيناء حيث توجد أقدم مناجم النحاس المعروفة . وربما حدث أنه كان يريد أن يضع بضع أحجار حول النار التى أوقدها فالتقط لهذا الغرض بضعة قطع من النحاس وجدها ملقاة حول الأرض .

وعندما امتزج الفحم الناتج عن الخشب الذى يشعل به النار بالقطع الساخنة من المعدن التى وضعها حول النار لحمايتها من تأثير الريح ، فإن هذا المعدن أخذ

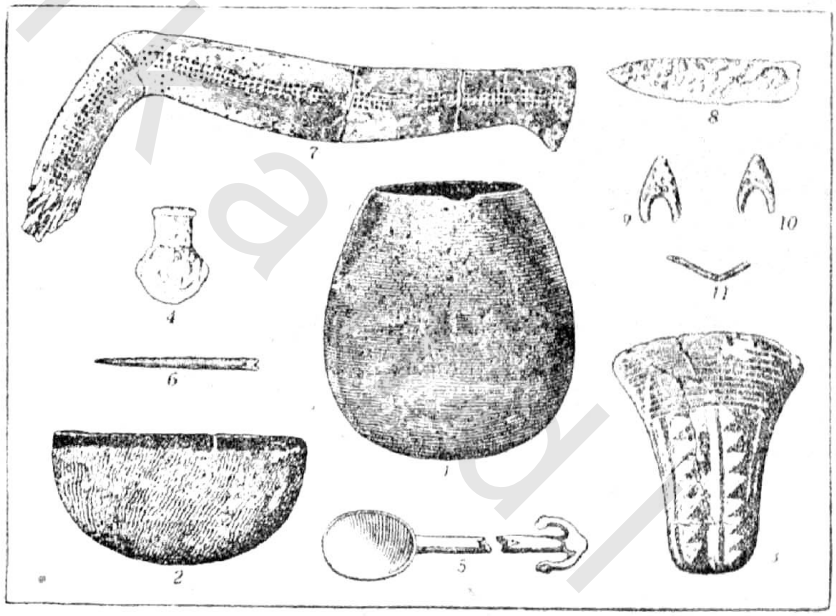

شكل : ١٢ مجموعة من الادوات عثر عليها فى جبانة مصرية من العصر النيوليتى المتأخر

تحتوى هذه الادوات التى كانت توضع مع الموتى على أوان فخارية للاستعمال المنزلى (١ ــ ٣) وأوان من العاج لحفظ عطور الزينة (٤) وملاعق (٥) وابر من العظم (٦) وأسلحة من الخشب أو الظران (٧ ــ ١٠) ويدل شكل (٧) على عصا للرماية ربما كانت سلف عصا الرماية المستعملة فى اوستراليا . أما الدبوس النحاسى (١١) فانه يدل على أول استعمال للمعادن
(عن برنتن)

يتضح عنصره ، أى أن النحاس بشكله المعدنى قد تخلص من أخلاط العناصر الأخرى التى كانت مختلطة به ، وفى الصباح عند ما كان المصرى يحرك بقايا النار

وجد فى الرماد قطعاً لامعة تصلبت وتحولت إلى قطع متكورة لامعة من المعدن . ونستطيع أن نتخيله وهو يلتقطها ويقلبها باعجاب وهى تلمع فى أشعة شمس الصباح. ولم يمض وقت طويل عندما أعيدت هذه التجربة حتى أكتشف أن هذه الخرزات اللامعة الغريبة أتت من قطع الحجر الموجودة حول ناره ، وبدون أن يقصد أو يعلم كان هذا الرجل على أبواب عصر جديد وهو عصر المعادن . ولو كان قدر لهذا المصرى المتجول أن يعلم الغيب لأدرك أن الخرزة النحاسية الصغيرة اللامعة التى التقطها من الرماد ، تعكس له رؤيا عظيمة من المستقبل بما فيه من المبانى المصنوعة من الصلب والكبارى الرائعة . والمصانع الضخمة التى تضج بأصوات آلاف الماكينات المعدنية . والقضبان الطويلة الممتدة التى تسير عليها القاطرات التى تنهب الأرض . ولولا هذه الخرزة الصغيرة من المعدن التى أمسكها المصرى فى يده لأول مرة ، وقد تولته الدهشة ، لما كانت تحققت جميع مافى دنيانا الحالية من اختراعات. كان هذا اليوم يوما مشهودا فى تاريخ البشرية ، ولم يصل الانسان إلى اكتشاف أعظم منه منذ اليوم الذى اكتشف فيه كيف يوقد النار قبل ذلك ببضعة آلاف من السنين . كان هذا الاكتشاف انتصارا للانسان على مواد الأرض التى يعيش فيها .وكان ذلك حوالى عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد على أقل تقدير أى منذ ٧٠٠٠ سنة ، ولكن المصريين لم يعرفوا تماما قيمة هذه المادة الجديدة إلا بعد عدة قرون. واستمروا يستعملون أدواتهم وأسلحتهم الحجرية ، ولم يستعملوا النحاس فى أغلب الأحيان إلا فى صنع أدوات الزينة مثل العقود النحاسية التى كان يتحلى بها النساء ، ولم يعم استعمال الأدوات والأسلحة النحاسية إلا بعد ٢٠٠٠ سنة تقريبا من اكتشاف النحاس . وفى خلال هذا العصر الطويل ـ وبعده بمدة من الزمن ـ استمرت حياة الانسان فى العصر الحجرى الحديث وكأن المعدن لم يكتشف .

العصر النيوليتى فى أوربا

بينما كان سكان جنوبى البحر الأبيض المتوسط فى العصر الحجرى يتقدمون فى أساليب حياتهم كان زملاؤهم على الجانب الشمالى يمرون بتجارب أخرى أقل منها . عاش أوربيو عصر ما بعد الجليد حياة بائسة فى عالم غريب مفزع فترة من الزمن . وكانت البرارى المملوءة بغابات البلوط والحيوانات التى لم يكونوا قد عرفوا بعد كيف يصطادونها تحيط بهم دائما . ولما كان هؤلاء الناس ما زالوا يعيشون من جمع غذائهم فمن المحتمل أنهم كانوا فى كثير من الأوقات أقرب إلى الموت جوعا . وكان بعض هؤلاء الناس يعيشون فى كهوف ولكن أكثرهم كان يعيش بالقرب من الأنهار وشاطىء البحر حيث يستطيعون صيد السمك . وكانوا يأكلون التوت والجوز مع السمك بقصد التنويع فى طعامهم ، وبين حين وآخر كانوا يقتلون حيوانا صغيرا . أما صناعة الظران فكانت فقيرة جدا ولم يكن هناك ذوق فنى . ويكاديكون مؤكدا أن مؤثرات تقدمية غريبة عنهم وصلت إلى أوربا وغيرت طرق المعيشة البدائية لهؤلاء الناس . ولقد جاءت بعض هذه المؤثرات دون شك من شمال إفريقيا ، ومن المحتمل أن جماعات من سكان النيل ، ممن تأصلت فى نفوسهم الرغبة فى التجول أكثر من غيرهم تجولوا عبر شمال إفريقيا ، ثم وصلوا عن طريق جبل طارق إلى أوربا . ولو كان هذا هو ما حدث فعلا فانهم يكونون قد جلبوا بالطبع معهم أفكار و عادات أقوام منتجين للغذاء .

كما أنه من الجائز أيضا أن مؤثرات تقدمية أخرى أتت إلى أوربا من الشرق . فقد كانت جماعات منتجى الغذاء فى العصر النيوليتى تنتخب أماكن إقامتها بجوار الأنهار ومجارى المياه بوجه خاص حيث توجد تربة خصبة ومراع شاسعة . وأهم أودية الأنهار

الأوربية فى ذلك العصر هو وادى الدانوب . وفى نهايته يمتد الوادى إلى ما نسميه الآن السهول الخصبة فى المجر أو الدانوب الأسفل وهى المنطقة التى تمتد فى اتجاه غرب آسيا الصغرى . وقد انتقلت الحياة النيوليتية فى غرب آسيا عبر هذه السهول إلى شرق أوربا جالبة معها تربية الماشية وزراعة الحبوب . ومن الجائز أن تكون حقول الغلال والمراعى الواسعة فى المجر أقامت أود الجماعات الكبيرة فى أوربا عندما هجر الكثيرون من الناس حياة الصيد واستقروا فى مساكن ثابتة . وكذلك انتقلت حياة المراعى والزراعة من فلاحى الدانوب عبر النهر العظيم إلى قلب أوربا إذ تكشف لنا بقايا المساكن النيوليتية التى انتشرت فى ذلك الوقت من المجر نحو الغرب عن تحسنات كبيرة فى أساليب المعيشة .

ومن المحتمل أن أولى البيوت فى تلك القرى الصغيرة كانت مجرد أكواخ من الأغصان غطيت جدرانها بطبقة من الطين أو ببعض الحشائش المجدولة . وعلى أى حال فقد كانت الادوات الحجرية ، المسنونة الأطراف من الأسباب التى سهلت بناء البيوت الخشبية لأننا لو فحصنا أدوات الصناع النيوليتيين لوجدنا أنها تحوى مجموعة من الأدوات تقرب فى كلها من أدوات النجارة فى عصرنا الحالى . فكان لديهم الفؤوس وكانوا يستعملون أزاميل وسكاكين ومثاقب ومناشير ومسنات مصنوعة فى معظم الأحيان من الظران . وفى بعض الأحيان كانت تصنع من أحجار صلبة أخرى . ولقد تعلموا كيف يربطون يدا خشبية حول رأس الفأس أو يشكلون رأس الفأس بحيث توضع فى مقبض مصنوع من قرون الغزال أو يثقبون ثقبا فى رأس الفأس ويدخلون فيها يدا ، وإذا فحصنا هذه الآلات وجدنا أنها قد صقلت من جراء استعمالها . ومن الخطأ القول بأنه لم يكن فى استطاعة الانسان أن يعمل أشياء متقنة وبسرعة بمثل هذه الادوات الحجرية ، فقد أجريت تجربة حديثة فى الدانمرك إذ أعطوا فأسا حجرية لأحد العمال الميكانيكيين ، وبالرغم من أنه لم يكن متعودا على استعمال هذه الادوات الحجرية إلا أنه استطاع فى ظرف ١٠ ساعات من العمل أن يقطع ٢٦ شجرة صنوبر يبلغ قطر الواحدة منها ٢٥ سنتمترا . وبعد ذلك قطعها إلى

كتل . وفى ظرف ٨١ يوما أتم العامل قطع الألواح والكتل الخشبية وبناء المنزل بأدواته الحجرية . وعلى ضوء هذه التجربة يمكن القول بأنه من المحتمل أن يبنى رجال

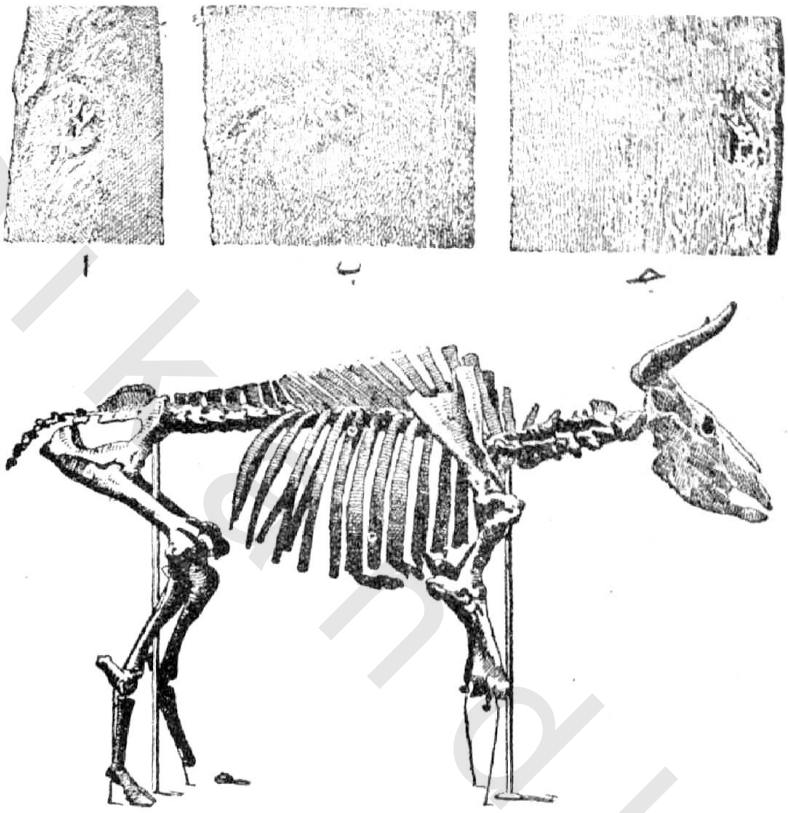

شكل : ١٣ هيكل عظمى لثور برى يحمل أثر سهام الصياد الذى قتله فى غابات الدانوب منذ تسعة آلاف سنة تقريبا

لقد أصابه صياد من العصر الحجرى المتأخر فى ظهره بالقرب من العامود الفقرى (انظر الحلقة البيضاء فى الجزء العلوى من الهيكل العظمى) والتأم الجرح مخلفا ندبة فى الضلع (ا فوق) . وبعد ذلك أصابه صياد آخر وفى هذه المرة اخترقت أحشاءه عدة سهام واصطدم احدها بضلع (انظر الخاتم الابيض السفلى على الهيكل العظمى) وانكسر فيه . ونرى فى الرسم جانبى هذا الجرح الذى لم يلتئم محشوا برأس السهم الظرانية المنكسرة فيه (فوق فى ب ، حـ » ومات هذا الثور المجروح بينما كان يحاول أن يسبح عبر بحيرة مجاورة ، وغرقت جثته الى القاع وعندما وصل الصياد الذى كان يتتبعه الى البحيرة لم يجد أى أثر له . وعلى مر آلاف السنين بدأت البحيرة تجف تدريجيا وحلت الاعشاب الجافة محل الماء الذى كان عمقه أكثر من ثلاثة أمتار . وكان لهذه الاعشاب نفس العمق ، وغطت هيكل الثور العظمى . وعثر عليه فى هذا المكان فى سنة ١٩٠٥ ، وعثر معه على رؤوس السهام الظرانية التى قتلته . وقد نقل هيكله العظمى الذى مازال يحمل علامات رؤوس السهام الظرانية ا ، ب ، حـ الى متحف كوبنهاجن حيث وضع هناك

العصر الحجرى الحديث مساكن مريحة ويعيشوا فيها حياة أرقى بكثير من الهمجيين

وتوجد فى سويسرا أكثر بقايا المساكن الخشبية الأولى أهمية فى أوربا . فقد بنت هناك جماعات من العائلات فى العصر النيوليتى قراهم المكونة من المنازل الخشبية على أماكن مرتفعة ممتدة فى صفوف طويلة على طول شواطىء البحيرات السويسرية (١). وكانت هذه المنازل تقام فوق سطح من الخشب تحملها دعائم خشبية مثبتة فى الأرض . وهذه القرى أو مجموعات المساكن المقامة فوق الدعامات تسمى عادة قرى البحيرات . وفى حالات قليلة كانت هذه القرى تنمو وتصبح كبيرة كما فى وانجن Wangen حيث عثر على مالا يقل عن ٥٠ ألف دعامة فى الأرض لتثبيت القرية . وعاش سكان قرى البحيرات حياة سلام ورخاء . كانت منازلهم مأوى مريحة . وكانت مجهزة بأثاثات وأدوات خشبية وأباريق وملاعق خشبية ومعها الأطباق والأوعية والأوانى الفخارية . وبالرغم من أن أوانيهم الفخارية كانت غير دقيقة الصنع لأنهم لم يعرفوا إستعمال عجلة الفخار ولم يحرقوها فى أفران إلا أنها كانت سببا فى جعل الحياة المنزلية أكثر راحة وسهولة مما كانت عليه من قبل . وبالقرب من المنزل كانت المياه غاصة بالسمك الذى كانوا يصطادونه بخطاطيف من العظم أو شباك من حبال الكتان الذى كان يزرعه سكان قرى البحيرات .

وكانت سفوح التلال التى تطل على قرى البحيرات مخضرة بحقول القمح والشعير والذرة، وكان هذا المصدر الجديد للغذاء كافيا لهم . ووجد الحفارون أكثر من ١٠٠ كيلة من الحبوب فى قاع البحيرة تحت قرية ونجن Wangen من قرى البحيرات

---

١ ـ عثر لاول مرة على بقايا قرى البحيرات السويسرية سنة ١٨٥٤ عندما انخفض مستوى المياه فيها جدا بعد فصل جفاف غير عادى . واتضح الان أن هذا المستوى المنخفض للمياه كان نفس المستوى الاصلى عندما بنيت هذه القرى . ولهذا أقامها أهلها على الارض الجافة بجانب البحيرة وليس فوق الماء كما كان يعتقد قبلا . وارتفع مستوى البحيرات السويسرية فى خلال آلاف السنين وغطى الشواطىء القديمة ومعها بقايا القرى القائمة على أعمدة . ومن هنا جاء الرأى الخاطىء وهو أنها بنيت فوق الماء وثبتت الاعمدة فى قاع البحيرة . وبين هذه الاعمدة الغائمة وجدت كميات كبيرة من الادوات وأثاث المنازل والآلات والزوارق المنحوتة فى الشجر وكذلك شباك صيد السمك وبعض القمح والشعير وعظام الحيوانات الاليفة والكتان المنسوج وغيرها

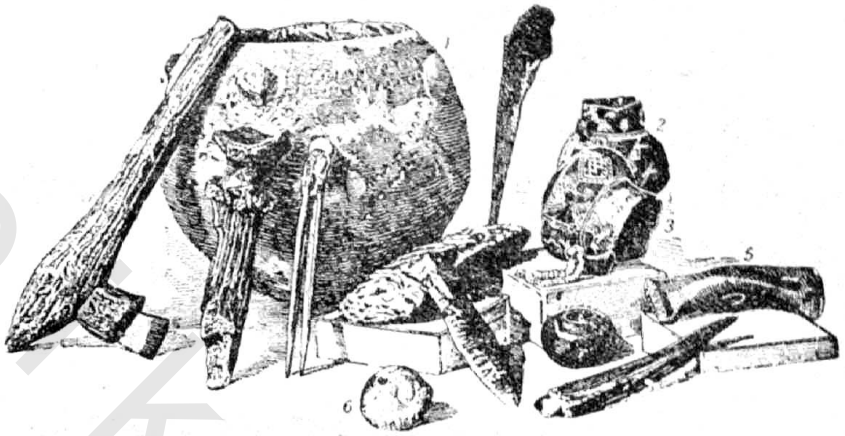

شكل : ١٤ أشياء وجدت فى مساكن البحيرات السويسرية

نرى هنا ثلاثة اختراعات هامة تمت خلال العصر النيوليتى

أولا : الاوعية الفخارية مثل ٢ ، ٣ ذات زخارف غير معتنى بها — وهى أقدم طين محروق فى أوربا — وفى ١ وعاء ضخم كان سكان البحيرات يطبخون فيه طعامهم

ثانيا : الادوات ذات الحد المشذب مثل ٤ وهو أزميل حجرى مركب فى مقبض من قرون الغزال كالمطرقة ، أو مثل ٥ وهى فأس حجرية بها ثقب لتثبت فيه يد الفأس

ثالثا : أما ثالث الاختراعات فهو النسيج كما يرى فى ٦ حيث نرى آلة غزل من الطين المحروق وهى أقدم جهاز للغزل . وكانت تعلق فى خيط خشن من الكتان طوله من ٤٥ الى ٥٠ سنتيمترا ثم يدفعها فتدور فى الهواء ، وهكذا تبرم الخيط الذى تعلق به . وعندما يبرم الخيط الى الحد الكافى كان يلف ويؤخذ خيط بالطول السابق من الكتان غير المنسوج ليبرم بهذه الطريقة

المندثرة . وانتشرت كذلك حقول الكتان الصغيرة بجانب الحبوب النامية على سفوح التلال ، وكانت النساء يجلسن أمام ابواب مساكنهن يغزلن . وقد حلت الملابس الكتانية محل الملابس الخشنة المصنوعة من الجلد التى كان يرتديها أسلافهن . وكانت هذه الحقول من ضمن الاسباب لإقامة مساكن مستقرة فى مكان واحد لانه كان من الضرورى للفلاحين أن يبقوا بالقرب من حقولهم الصغيرة تفلح نساؤهم الأرض . وكان القمح يحتاج إلى عناية فاذا ما نضج حصدوه . ولم تكن تلك الحقول مملوكة لأحد فى أول الأمر ولم يكن أحد يعرف شيئا عن امتلاك الأرض . ولكن بعد مضى وقت أصبح لكل بيت الحق فى زراعة حقل معين . وفى النهاية أصبح لهم حق امتلاكه . وهكذا ظهرت ملكية الأرض التى أصبحت فى مستقبل حياة الناس مصدرا دائما للمضايقات وكانت السبب فى الصراع الطويل بين الاغنياء والفقراء — وهو صراع لم يكن معروفا من قبل عندما كانت الأرض مباحة للجميع . وبدأ عدد كبير من أوربى العصر الحجرى الحديث فى هذا الوقت يملكون مساكن مستقرة داخل القرى وحولها

ومن ناحية أخرى نرى أن امتلاك الحيوانات التى تعيش على العشب وتستطيع أن تعيش فى المراعى قد خلق طبقة من الناس الذين كانوا مضطرين ليعيشوا حياة غير مستقرة . ولم تكن المراعى خصبة فى كل مكان إلى الحد الذى يسمح ببقاء الماشية دائما فى مكان واحد ، وكان رعاتها يضطرون إلى البحث عن المرعى فى أى مكان آخر ، وهكذا أصبحوا يحيون حياة تجوال يقودون قطعانهم ويرعونها فى أى مكان به أرض معشبة تمدها بالقوت . وبينما مكث الفلاحون مستقرين فى أراضيهم الزراعية الغنية ، امتلك البدو الاراضى المعشبة الممتدة من الدانوب شرقا حتى شمال البحر الاسود ومن ثم بعيدا حتى آسيا . وبقيت حياتهم دائما أقل تحضرا وأكثر خشونة من الحياة المستقرة فى القرى .

وهكذا خلقت الحبوب والماشية طريقتين من طرق المعيشة استمرت كل

منهما بجانب الأخرى . الحياة الزراعيه المستقرة التى تقوم على زراعة الحبوب ، وحياة البدو الجوالين التى تقوم على رعى الماشية . ومن المهم أن نفهم حياة هاتين الطبقتين من الناس ، لأن البدو غير المستقرين يتكاثرون جداً فى وقت من الأوقات فلاتكفيهم المراعى الموجودة فى الأراضى التى تنبت فيها الأعشاب، وكانوا فى مثل هذه الأحيان يفدون جماعات إلى المدن والأماكن الزراعية فيتغلبون على أهلها . وسنرى فيما بعد كيف كانت قبائل البدو الوافدة تأتى من الأراضى المعشبة فى الشرق لتغزو أوربا مرة بعد مرة .

وأخيراً بدأت الجماعات المستقرة فى العصر النيوليتى تخلف وراءها شيئا أكثر من المنازل الخشبية الهشة والاكواخ . ففى الوقت الذى كاد فيه هذا العصر أن يقترب من نهايته بدأ الزعماء الأقوياء فى القرى الكبيرة يقيمون لانفسهم مقابر مبنية من كتل هائلة من الحجر ما زالت توجد على حدود ساحل أوربا الغربى ، من البحر الأبيض المتوسط على امتداد ساحل أسبانيا حتى شواطىء اسكندیناوة الجنوبية ، ويوجد الآن مالايقل عن ٣٤٠٠ مقبرة حجرية من ذلك العصر فى جزيرة سيلاند Sealand (التابعة للدانيمرك) وكثير منها ذوحجم غير صغير . وتوجد مثل هذه المقابر فى فرنسا وتمتاز بعددها الكبير وأحجامها العظيمة ، وكذلك الأمر فى إنجلترا .

ولقد كانت كتل الحجارة الضخمة تترك بدون تهذيب كما هى، وعند قطعها كانوا يستعملون أزاميل حجرية . ولايمكننا أن نعتبر هذه الأحجار بمثابة مبانى لأنها تبنى بقطع مهذبة من الحجر أو تستعمل فيها الملاط ولانستطيع كذلك أن نعتبرها من أعمال العمارة فذلك شىء لم يكن قد حدث فى أوربا . وتدلنا تلك الآثار التى أقيمت فى العصر النيوليتى على وجود أقدم المدن فى أوربا ، فبالقرب من كل مجموعة كبيرة من المقابر الحجرية كانت توجد مدينة يقيم فيها السكان الذين بنوا تلك المقابر . وقد

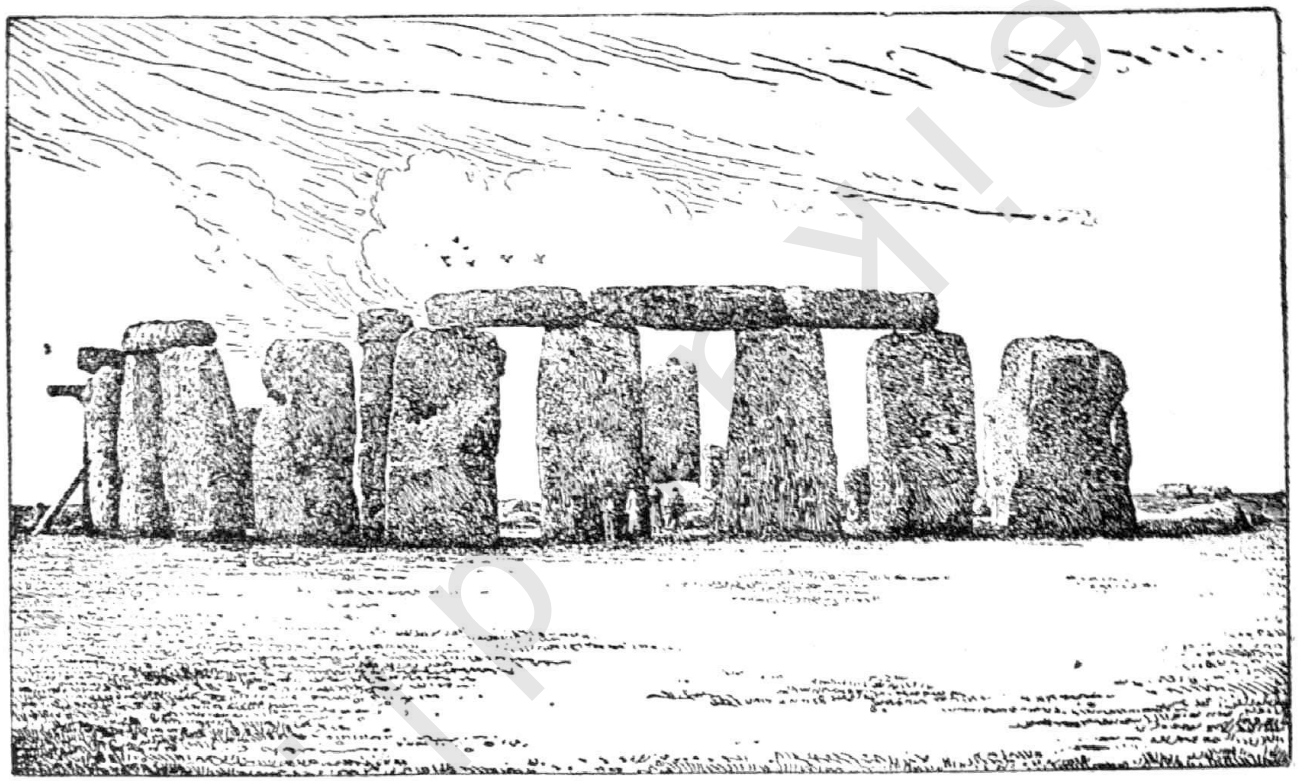

شكل : ١٥ دوران كبير من الحجر فى ستونهنج Stone henge بانجلترا
يبلغ قطر الدوران حوالى ١٠٠ قدم ، ويصله بالمدينة المجاورة التى يرجع
تاريخها الى العصر الحجرى طريق طويل لايزال أثره باقيا . ويعتقد البعض أن
استونهنج Stone henge كانت مكانا لدفن بعض الزعماء فى العصر الحجرى

اكتشفت بقايا بعض هذه المدن وأزيل عنها الركام الذى كان يغطيها وهى ترينا أن الناس تعلموا كيف يعيشون معا وأن عددهم كان كثيرا ، وكانوا يعملون متعاونين على نطاق واسع .

وكان لابد من وجود سيطرة تامة على الرجال وإدارتهم بحزم حتى يستطيعوا أن يقيموا جدرانا لمثل هذه المدينة ، أو ليصنعوا ٥٠ ألفا من الدعائم لتقام عليها قرية البحرية فى وانجن Wangen فى سويسرا ، أو لينقلوا كتلا ضخمة من الحجارة لبناء مقابر الزعماء ، وكانت هذه الأعمال بشائر إنشاء حكومة منظمة لها زعيم . ونستطيع أن نطلق على مثل هذه الحكومه اسم ولاية . وقد نمت عدة ولايات صغيرة فى أوربا فى العصر النيوليتى تتكون كل واحدة منها من مدينة مسورة بجدران وتحيطها الحقول ويحكمها زعيم . ومن أمثال هذه البدايات تسير الأمم فى طريق التكوين . تلك المنشئات الحجرية تعطينا لمحات جميلة عن الحياة فى المدن النيوليتية . وشكل بعض هذه الآثار يجعلنا نفترض أن جماعات كاملة كانت تأتى من المدن فى أيام الأعياد وتسير إلى أماكن مثل الدوران الحجرى العظيم فى أستونهنج Stonehenge . وهناك رأى آخر وهو أنهم كانوا يتبارون فى هذه الأماكن فى مسابقات وألعاب رياضية داخل هذه الدورانات الحجرية تكريما لذكرى الزعيم المدفون تحتها . ومن المحتمل أن مواكب هذه الاحتفالات سارت فى الطرقات الطويلة التى تحدوها الأحجار الضخمة . أما اليوم فان هذه الطرقات ساكنة مهجورة ، وتمتد عدة كيلو مترات عبر حقول الفلاحين لتذكرنا بأفراح الانسانية التى نسيت ، وبعادات قديمة وعقائد طالما احترمها القوم الذين عاشوا يوما ما فى أوربا فى العصر الحجرى .

وإذا كانت هذه المدافن آثاراً باقية لعقائد دينية حسب رأى البعض أو لنشاط اجتماعى كما يرى البعض الآخر ، فان هناك آثارا أخرى تكشف لنا عن حياة الناس

اثناء عملهم . بدأ الناس فى ذلك العهد فى اتخاذ حرف فكان بعضهم يعمل فى صناعات الخشب ، وكان آخرون يصنعون الفخار ، وبقى البعض الآخر فى أعمال المناجم . وقد حفر هؤلاء العمال القدماء فى أعماق الأرض كى يصلوا إلى أجود طبقات الظران

شكل : ١٦ هيكل عظمى لاحد عمال المناجم فى العصر الحجرى المتأخر

وجد هذا الهيكل العظمى ملقى على أرضية منجم ظران فى بلجيكا ، تحت الصخور التى انهارت وسحقته . ونرى أمامه المعول ذا الطرفين المصنوع من قرن الغزال والذى كان يستخرج به قطع الظران من مهدها الطباشيرى . والمعول لايزال فى موضعه عندما سقط من يده فى اللحظة التى انهار فيها الكهف

ليصنعوا منها أدواتهم الحجرية . وفى السراديب القديمة التى حفرها عمال مناجم الظران القدماء فى براندون Brandon بانجلترا عثر منذ وقت غير بعيد على ثمانين معولا باليا مصنوعة من قرون الغزلان . وفى أحد الاماكن تقوض السقف وسد ممرا فى المنجم . وهناك عثر الاثريون وراء الصخور المتساقطة على معولين من قرون الغزال وكان على هذين المعولين طبقة من غبار الطباشير مازال ظاهرا به بصمات أصابع العامل الذى تركها هناك لآخر مرة منذ آلاف السنين

وكان هناك تعامل واتصال بين القرى ، بل أن الحقيقة أن التجار الاوائل كانوا

يحملون البضائع مسافات بعيدة وإلى أماكن كثيرة . ومن الأمثلة الظاهرة التى تدل على ذلك عثور الباحثين على أنواع من الظران الفرنسى الجيد مبعثرة فى أجزاء عديدة فى أوربا حيث دل عليها لونها . كما انتقل الكهرمان الذى كان يجمع على شواطىء البلطيق من يد إلى يد حتى وصل جنوبا إلى البحر الابيض المتوسط . وعثر فى الجزائر التى حول أوربا على أدوات حجرية تثبت لنا أن بعض الناس فى ذلك العصر كانوا يملكون قوارب قوية إلى الحد الذى يكفى لحملهم إلى تلك الجزر . ووجدت عدة زوارق منحوته فى الاشجار استعملها سكان البحيرات . وجدت هذه الزوارق فى قاع البحيرة وسط القوائم الخشبية، إذ لم تكن السفن ذات الشراع قد عرفت بعد فى أوربا . أما الاعمال التجارية فى مثل هذا العصر فقد كانت بالطبع بسيطة جدا .

لم تكن هناك معادن أو نقود . كان البيع والشراء يتم بمقايضة نوع من البضائع بنوع آخر . ولم يكن للكتابة وجود فى كل أوربا ، بل لم تخترع أية طريقة للكتابة فى أى مكان فى القارة الاوروبية . ولكن الاتصال بين هذه القرى القديمة فى أوربا لم يكن دائما سليما . فإن الاسوار الترابية والسياجات الخشبية التى أقاموها حول المدن لحمايتها تثبت لنا أنه كثيرا مادوى صوت نفير الحرب الخاص بالزعيم ليدعو القوم لصد الاعداء . ومازالت هناك آثار محزنة لبعض هذه الحروب القديمة فى أوربا . ففى مقبرة من ذلك العصر فى السويد عثر على جمجمة وفيها رأس سهم من الظران مازال مغروزا فى إحدى حفرتى العين، بينما عثر فى فرنسا على أكثر من عظمة آدمية مغروز فيها رأس سهم من الظران . وفى مدفن اسكتلندى عثر على تابوت بداخله جثة رجل ضخم الحجم وإحدى ذراعيها تكاد تنفصل عن الكتف نتيجة ضربة فأس حجرية ، وفى عظام الذراع المصاب علقت قطعة من الحجر كسرت من حد الفأس .

هكذا كانت حياة النيوليتيين على الجانب الشمالى للبحر الأبيض المتوسط عندما اقترب هذا العصر من نهايته حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . لم يتقدموا تقدما كبيرا بعد تحولهم من حياة الصيد إلى الحياة المستقرة على مقربة من حقول حبوبهم ومراعيهم، لم يعرفوا الكتابة حتى يستعملوها فى تدوين أمور تجارتهم وحكومتهم ، واستمروا بدون معادن[1] فلم يصنعوا منها الأدوات التى عساها تمكنهم من التقدم فى صناعاتهم، ولم يكن لديهم سفن شراعية تحمل تجارتهم ، وبدون هذه الأشياء لايستطيع الانسان أن يتقدم كثيرا .

---

١ ـ أدخلت المعادن فى الجنوب الشرقى لاوربا حوالى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد وانتشرت كموجة بطيئة متحركة تدريجيا غربا وشمالا عبر أوربا . ومن الجائز انها لم تصل بريطانيا حتى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا . ومن هنا وضعنا النصب الحجرية الضخمة الخاصة بغرب اوربا ضمن دراستنا للعصر الحجرى فى أوربا . وقد أقيمت تلك النصب بعد أن عرف جنوب شرقى اوربا المعادن بوقت طويل ، ولكن قبل أن ينتشر استعمال المعادن فى غرب اوربا

ربع الكرة الأرضية

الذى نمت فيه الحضارة وتطورت

رأينا فيما سبق كيف تطورت حياة القدماء فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، واهتممنا اهتماماً خاصاً بالمناطق التى فى شماله وفى جنوبه حيث عثر رجال الآثار على أدوات كثيرة درسوها دراسة وافية . وتشهد مجموعات آثار عصر ما قبل التاريخ على أن القدماء عاشوا فى جميع الأراضى المحيطة بالبحر العظيم وفى الأراضى التى تحيط به . وهكذا كان البحر الأبيض المتوسط مركز التقدم فى الحياة وهو الأمر الذى بدأ منذ أول ظهور الإنسان . ولندرس الآن ربع الكرة الأرضية الذى يشغل فيه هذا البحر الأبيض المتوسط جزءاً هاماً . كانت الحياة الحضارية المبكرة فى الجانب الأفريقى من البحر الأبيض المتوسط على هيئة شريط ضيق يمتد بامتداد الشاطئ (لأن الصحراء الكبرى كانت تقع خلفه) وتمتد جنوباً فى خط ضيق بامتداد نهر النيل . وأما فى الجانب الأوربى من البحر الأبيض المتوسط فإن القوم المتحضرين اتجهوا تدريجياً نحو الشمال، وفى وقت ما وصلوا إلى البلطيق والبحر الشمالى والجزر البريطانية، وفى الطرف الاسيوى من البحر العظيم توغلت الحياة المتحضرة كثيراً فى الداخل، وفى النهاية وصلت شرقاً حتى الهند والصين .

فإذا بدأنا بالبحر الأبيض المتوسط نجد أن حدود شواطئه الثلاثة ، الجنوبى الشمالى والشرقى والأراضى الواقعة خلفها ، كونت العالم الذى تطورت فيه حياة الإنسان فى ثلاث قارات. وإذا أخذنا هذه المناطق كوحدة، فانها تكوّن مثلثاً يدخل فيه جزء كبير من الربع الشمالى الغربى لنصف الكرة الشرقى . هذا المثلث الذى سماه البعض الربع الشمالى الغربى العظيم قاعدته هى الحدود الجنوبية للصحراء فى إفريقيا

وآسيا ، أو على وجه التقريب خط عرض ٢٠ شمالا . وضلعه الشرقى عبارة عن خط يتجه من الشمال إلى الجنوب محاذياً جبال الأورال تقريباً وينطبق على خط الطول ٦٠ شرقاً . وإلى الغرب من هذا الخط وشمال خط العرض ٢٠ يمتد الربع الشمالى الغربى العظيم حتى يصل إلى المحيط الاطلنطى والمتجمد الشمالى وهما يكونان حدوده فى الشمال والغرب .

وفى هذا المثلث العظيم تطورت الحضارة التى ورثتها الآن كل من أوربا وأمريكا. ومن الناحية الجغرافية يتكون هذا الربع المتسع من ثلاث مناطق من الشرق إلى الغرب . فهناك أولا منطقة المرتفعات التى تتضمن الجبال ، وتمتد على طول الجانب الشمالى من البحر الابيض المتوسط ثم تتجه شرقاً إلى قلب آسيا وراء الضلع الشرقى للمثلث السابق ذكره . وإلى شمال منطقة المرتفعات توجد الأراضى المستوية الشمالية التى تمتد كذلك شرقاً حتى قلب آسيا . وإلى الجنوب من منطقة المرتفعات توجد أراضى السهول الجنوبية التى يشغلها من الغرب حوض البحر الابيض المتوسط . ومن المهم أن نلاحظ أن أكثر الاراضى المستوية الجنوبية ليست إلا صحراء تمتد من شمال أفريقيا شرقاً عبر البحر الأحمر ثم تتوغل فى آسيا .

أما سكان الربع الشمالى الغربى العظيم فأنهم كانوا جميعاً من الجنس الابيض منذ أن ظهر الإنسان فى عصر ما قبل التاريخ . ولكنهم يختلفون اختلافاً بيناً فى بعض الخصائص الجسمانية . فى أراضى السهول الشماليه نجد قوماً ذوى شعر أشقر ورؤوسهم مستطيلة مثل الاسكندیناويين الذين يسمون أحياناً الجنس الشمالى (Nordie) . أما جيرانهم فى الجنوب فكانوا ذوى رؤوس مستديرة ويسكنون فى منطقة المرتفعات ومن هنا يسمون غالباً الجنس الالبى (Alpine) أو الارمنى (Armenoid) . وفى الاراضى المستوية الجنوبية كان يسكن أناس شعرهم أسود رؤوسهم مستطيلة يعرفون الآن باسم جنس البحر الابيض المتوسط . وهذه

الانواع الثلاثة تكوّن جميع سكان الربع الشمالى الغربى ، وكان أسلاف الذين يسكنون الآن فى تلك المناطق هم الذين خلقوا الحضارة التى ورثناها . وإذا دققنا النظر خارج ذلك الربع الشمالى الغربى العظيم نجد فى الاقاليم المجاورة جنسين مختلفين فقط — المنغوليون فى الشرق والزنوج فى الجنوب ويشغل هؤلاء الناس مكاناً هاماً فى عالمنا الحديث ، ولكن يظهر أنه لم يكن لهم أثر مباشر على الحضارة المبكرة فى الربع الشمالى الغربى .

وقد سكن المنغوليون ، وهم جنس ذو شعر أسود مستقيم كالسلك ورؤوس مستديرة لا لحية لهم وجلدهم أصفر . سكن هؤلاء المغول الهضاب المنفردة فى داخل آسيا والتى نسميها بآسيا المرتفعة High Asia . ومن بين أقوام هذا الجنس استطاع الصينيون أن يكوّنوا لهم حضارة ذات طابع ممتاز[1] وخرجت أقوام من الصفر مهاجرة من موطنها فى مرتفعات آسيا فى جميع الاتجاهات ولكنهم لم يصلوا إلى الربع الشمالى الغربى إلا بعد أن تطورت فيه الحضارة لدرجة كبيرة . وقد هاجرت جماعات من الرحل الآسيويين — من الجائز أنهم كانوا من المنغوليين — إلى أقصى شمال شرقى آسيا ، وهناك رأى يقول أنهم ظلوا فى اتجاههم حتى عبروا ألاسكا ، وربما تجولوا أبعد من ذلك ووصلوا إلى أمريكا وهكذا أصبحوا أسلاف الهنود الأمريكيين الشماليين .

وفى جنوب الربع الشمالى الغربى تقع أفريقيا التى تعج بسكانها السود كما هى الآن ، والتى فصلتها الصحراء الكبرى عن الجنس الأبيض . وكان وادى النيل هو الطريق الوحيد الذى يقطع الصحراء الكبرى من الجنوب إلى الشمال ، وكثيراً ما تجول السود

---

١ أظهرت نتائج الحفائر فى الصين أن ماوصل الى أيدينا من أدوات يرجع تاريخها الى العصر الپالبوليتى أو النيوليتى تثبت أن بعض الاشياء الاساسية فى الثقافة الصينية يرجع أصلها الى عصر ماقبل التاريخ . أما عن العصر التاريخى فان الدكتور H.B. Creel يقول فى كتابه The Birth of China ص ٥٣ «من الناحيتين الاثرية والعلمية يرتفع الستار عن تاريخ الصين عندما كانت اسرة سانج تعيش فى انيانج Anyang فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد » .

فى قلب أفريقيا واتجهوا شمالا فى هذا الطريق حتى وصلوا مصر ولكنهم كانوا يأتون فى جماعات صغيرة فقط . وهكذا قدر لهم أن يظلوا وحدهم بسبب الحاجز الصحراوى ، وبقى هؤلاء السود غير متأثرين بالحضارة التى فى شمالهم ولم يضيفوا إليها شيئاً ذا نفع . ولذلك سنقتصر فقط على ظهور الحضارة فى الربع الشمالى الغربى .

لقد رأينا كيف عاش رجال العصر النيوليتى وكان ينقصهم الكتابه والمعادن والسفن الشراعية كما كانت تنقصهم أشياء أخرى ضرورية لكى يعيش الانسان حياة أفضل من حياة البدائيين . ولم تكتشف أوتخترع هذه الاشياء فى أوربا وإنما على الجانب الآخر من البحر الابيض المتوسط فى مصر وآسيا الغربية أى فى البلاد التى يطلق عليها الآن اسم « الشرق الأدنى [1] . وتشبه هذه البلاد حدوة حصان كبيرة ، غير منتظمة ، فتحتها نحو الغرب وسميكة جدا فى الوسط ، وهكذا تجمعت بلاد الشرق الادنى حول الطرف الشرقى للبحر الابيض المتوسط وإلى شمالها آسيا الصغرى وإلى الجنوب منها شمال شرق أفريقيا [2]

بدأ سكان الشرق الادنى يبنون حضارتهم قبل ٤٠٠٠ سنة ق.م. وخلال الالف سنة التالية من ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م ، تقدموا فى بناء تلك الحضارة العظيمة وبدأوا العصر التاريخى أو العصر الذى ابتدأ عندما كتب الانسان لأول مرة مستنداته ، تلك المستندات التى تقص علينا فى كلمات مكتوبة شيئا عن حياة الانسان وما مر عليه من أحداث .

---

١ ـ يستعمل اصطلاح « الشرق الاقصى » ليدل على الصين والهند والجزر الباسيفيكية وخاصة اليابان . واصطلاح « الشرق الادنى » هو الآن أصلح اسم للاراضى المجتمعة حول الطرف الشرقى للبحر الابيض المتوسط .

٢ ـ ظهر منذ الحرب العالمية الثانية اصطلاح « الشرق الاوسط » وهو يضم جميع البلاد التى تسميها الشرق الادنى ويضمون اليها مناطق أخرى مثل تركيا والسودان وشمال أفريقيا وغيرها . ولكنها تسمية سياسية وضعت فى ظرف خاص لغرض معين ولا يمكن أن تحل محل اصطلاح الشرق الادنى عند حديثنا عن التاريخ (المعرب)

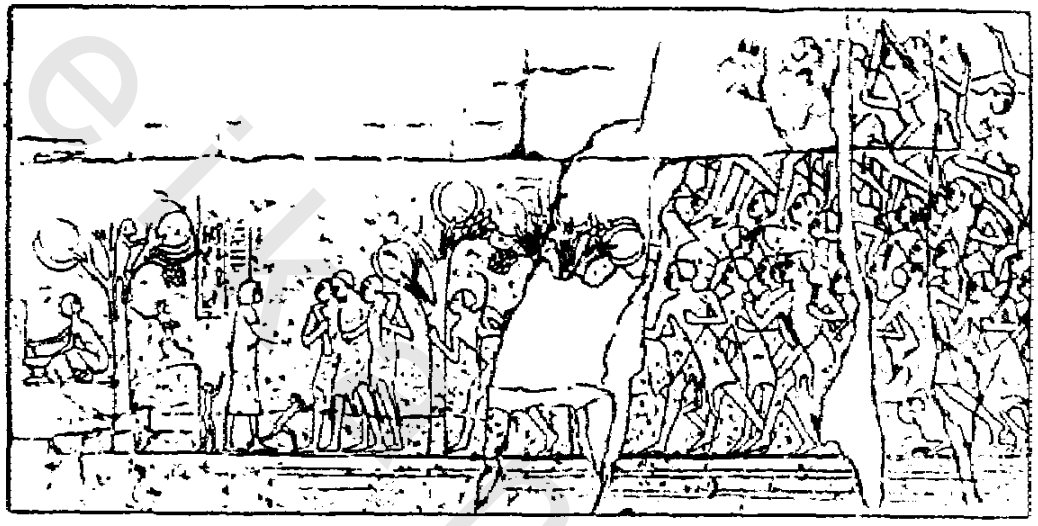

شكل : ١٧ أقدم رسم معروف للحياة الزنجيه (القرن الثالث عشر ق٠م)

فى الناحية اليسرى نرى امرأة زنجية تجلس تحت نخلة (من شجر الدوم) تقلب الطعام فى اناء من الفخار موضوع فوق النار ٠ وفى هذه الاثناء حدثت ضجة عظيمة ٠ وجاء فريق كبير من الجنود المنهزمين (الى اليمين) يفرون أمام هجوم الملك المصرى الذى اقتحم عليهم المعسكر ٠ ونرى فى اليسار جنديا جريحا يستند على رفيقين له يحملانه الى زوجته وطفله اللذين يتقدمان من اليسار ٠ وعلى النخلة التى بجانبهم يقفز قرد وينقنق بجنون عندما شاهد ذلك الاضطراب ٠ ويندفع طفل مضطرب من الخلف ليخبر الطاهية بالكارثة التى حلت بهم ٠ وهذا الرسم على أحد جدران معبد للملك رمسيس الثانى ، أى أنه من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ٠ والفجوات التى فى هذه الصورة هى الاجزاء المهشمة فى الرسم الاصلى ٠